
ق
#سر الهاشتاغ
تأليف: محمد الناغي
رسوم: عامر المغربي



(البَرنامَجُ)

وَسْمُ (هاشتاجُ): "#لا_أَمانَ".

هكَذا بَدَأَ فَهْمي كَلامَهُ في غُرفَتِهِ مُواجِهًا كاميرا حاسوبِهِ... اختَلَسَ نَظرَةً لِضَوءِ الشَّمسِ القَويِّ الـمُتَسَرِّبِ مِن وَراءِ سِتارَةِ النّافِذَةِ الـمُواجِهَةِ لَهُ، ثُمَّ تابَعَ: "هذا الوَسمُ الَّذي يَـحتَلُّ الـمَراكِزَ الأولى لِـمُدَّةٍ تَـخَطَّتِ السَّبعَةَ أَيّامٍ، ما جَعَلَهُ جَديرًا بِمَوضوعٍ لِـهذِهِ الـحَلْقَةِ".

وَحَدَّقَ في شاشَةِ حاسوبِهِ الـمَكتَبِيِّ، قارِئًا تَعليقاتِ الـمُتابِعينَ لِبَثِّهِ الحَيِّ ثُمَّ قالَ: "ثَلاثُ جَرائِمِ قَتْلٍ في أَماكِنَ مُختَلِفَةٍ مِنَ العاصِمَةِ، طالَتْ طَبَقاتٍ وَشَخصيّاتٍ مُختَلِفَةً، ما أَوْحى بِتَفَشّي الإِجْرامِ وَسَطْوَتِهِ، وَانعِدامِ الأَمانِ لِلجَميعِ".

وَصَمَتَ لَـحظَةً، ثُمَّ قالَ: "وَلكِن... بِمُراجَعَةِ ما تَمَّ إِعلانُهُ مِن تَفاصيلَ، بِوُسْعي أَنْ أَجزِمَ، أَنْ لا فَراغَ أَمنيًّا واقِعٌ، وَالمُجرِمونَ لا يَرتَعونَ في بِلادِنا بِأَريحيَّةٍ كَما يُشاعُ".

وَقَطَّبَ جَبينَهُ حازِمًا: "لِأَنَّ الجانـيَ بِبَساطَةٍ في كُلِّ تِلكَ الـجَرائِمِ، ما هُوَ إلا جانٍ واحِدٌ!".

***

انْهَمَكَ فَهْمي بِكُلِّ تَركيزِهِ في لَعِبِ إحْدى الأَلعابِ الإلِكتُرونيَّةِ، بِمُواجَهَةِ صَديقِهِ عَيّادٍ... كُلٌّ مِنهُما مُتَشَبِّثٌ بِعَصا الأَلعابِ، وَأَصابِعُهُ لا تَكُفُّ عَنِ النَّقْرِ وَالضَّغطِ رَغمَ ذلِكَ كانَ لَدى عَيّادٍ بَقيَّةُ تَرْكيزٍ لِيَقولَ لِفَهْمي مُداعِبًا: "حَلَقاتُكَ عَلى اليوتيوب بَدَأَتْ تَتَلَقَّفُها الصُّحُفُ وَالـمَواقِعُ يا صاحِبي".

قالَ فَهْمي وَنَظَراتُهُ مُثَبَّتَةٌ عَلى شاشَةِ الحاسوبِ: "لَـم يَلتَفِتوا إلّا لِلحَلْقَةِ الأَخيرَةِ!". وَصَمَتَ لَـحظَةً، ثُمَّ أَردَفَ: "أَو بِسَبَبِ تِلكَ الصَّحَفيَّةِ الشّابَّةِ، الَّتي تابَعَتِ الـحَلْقَةَ عَلى الأَرجَحِ، وَطَلَبَتْ إجراءَ حِوارٍ صَحَفيٍّ سَريعٍ، عَبرَ الهاتِفِ!".

غَمْغَمَ عَيّادٌ: "رَغمَ سَطْوَةِ السّوشيال ميديا، إلّا أَنَّهُ ما زالَت لِلصُّحُفِ قُوَّتُها رَغمَ كُلِّ شَيْءٍ".

عَقَّبَ فَهْمي كَالْعابِسِ: "عِبارَةٌ واحِدَةٌ رَكَّزَتْ عَلَيها كُلُّ العَناوينِ... أَنَّ القاتِلَ واحِدٌ".

وَتَرَكَ عَصا التَّحَكُّمِ كَما لَو فَتَرَتْ شَهيَّتُه لِلَّعِبِ: "رَغمَ عَدَدِ الـمُشترِكينَ القَليلِ نِسبيًّا، إلّا أَنَّ التَّعليقاتِ السّاخِرَةَ وَالـمُستَهْجَنَةَ كانَتْ كَثيرَةً، عَلى غَيرِ العادَةِ".

تَرَكَ عَيّادٌ اللَّعِبَ بِدَورِهِ، وَالْتَفَتَ لِصاحِبِهِ: "أَنا أُؤْمِنُ بِقُدُراتِكَ تَـمامًا، ما دُمتَ تَرى أَنَّ مُرتَكِبَ تِلكَ الـجَرائِمِ واحِدٌ؛ إذَنْ فَهُوَ كَذلِكَ".

تَـجَمَّدَتْ نَظَراتُ فَهْمي عَلى صَديقِهِ كَما لَو تَفاجَأَ، ثُمَّ هَزَّ رَأسَهُ بِقُوَّةٍ كَما لَو يُفيقُ. في هذِهِ اللَّحظَةِ، كانَ عَيّادٌ يَتَّجِهُ إلى طَبَقِ كُنافَةٍ مَـحشُوَّةٍ بِالفُسْتُقِ وَالقِشْدَةِ أَحضَرَتْهُ والِدَةُ فَهْمي قَبلَ دَقائِقَ... حَـمْلَقَ إلَيهِ، فَأَتاهُ قَولُ فَهْمي: "أَنتَ ضَيفي، لا أَدْري هَل مِنَ الـمُناسِبِ حَثُّكَ عَلى تَناوُلِهِ، أَم دَفْعُكَ لِلالْتِزامِ بِحِمْيَتِكَ الغِذائيَّةِ؟". أَشاحَ عَيّادٌ وَجهَهُ عَنِ الطَّبَقِ، وَابْتَعَدَ خُطوَتَينِ... وَقَفَ أَمامَ مِرآةِ التَّزْيينِ، وَقالَ: "مَعَكَ حَقٌّ، إنْقاصُ وَزْني لَـم يَكُنْ سَهلًا أَبَدًا".

نَهَضَ فَهْمي لِيَجولَ في الغُرفَةِ: "رَغمَ تَعليقاتِ الـمُستَهزِئينَ، إلّا أَنَّ بَعضَها أَثارَ ريبَتي، ما حَفَّزَني عَلى الـحَفْرِ وَراءَها".

وَلَـمَعَ الاستِمتاعُ في عَينَيْهِ: "وَأَتَأَمَّلُ أَن يَكونَ ما بِبالي صَحيحًا!".

***

تِسعونَ دَقيقَةً أَمْضاها فَهْمي يُـحَمْلِقُ في شاشَةِ حاسوبِهِ... كانَتْ مَلامِـحُهُ ثابِتَةً



لكِنَّ عَقلَهُ كانَ يَفورُ كَغَلّايَةِ الشّاي. راجَعَ تعليقاتِ زُوّارِ صَفحَتِهِ عَشَراتِ الـمَرّاتِ... الْتَقَطَ كَلِماتٍ مُتَناثِرَةً في أَكثَرَ مِن تَعليقٍ بَدَتْ لَهُ مُتَعَمَّدَةً أَكثَرَ مِنها عَفَوِيَّةً... كَلِماتٍ تَـحمِلُ مَعْلوماتٍ تَـخُصُّهُ غَيرَ مُتاحَةٍ سِوى لِلخاصَّةِ، كمثلِ اسمِ مَدرَسَتِهِ الابتِدائيَّةِ، أو الاسمِ الَّذي أَطلَقَهُ عَلى سُلَحْفاتِهِ الَّتي كانَ يُرَبّيها وَماتَتْ وَهُوَ لَـم يَتَجاوَزِ السَّبعَ سَنَواتٍ، أوِ الأَرقامِ الأَربَعَةِ الأَخيرَةِ في رَقْمِ هاتِفِهِ النَّقّالِ.

نَفَخَ فَهْمي، وَتَـمْتَمَ: "نَعَم، قَد يَكونُ ذلِكَ مُـجَرَّدَ مُصادَفَةٍ، لِكنَّ بَعضَ الـمُراجَعَةِ لَن تَضُرَّ".

سَمِعَ نِداءَ والِدَتِهِ في هذِهِ اللَّحظَةِ، تُناديهِ لِلغَداءِ. كانَ يَوَدُّ الـمُتابَعَةَ، لكِنَّهُ يَعرِفُ أَنَّ أَكثَرَ ما يَسوءُها أَن يُؤْكَلَ طَعامُها بارِدًا، فَقامَ كاسِفَ الْبالِ. أَنْهى غَداءَهُ، ثُمَّ عادَ إلى حاسوبِهِ، لِيَنصَرِفَ بِكُلِّ تَركيزِهِ يَتَتَبَّعُ حِساباتِ أَصحابِ التَّعليقاتِ واحِدًا واحِدًا... كانَ يَستَخدِمُ بَرامِجَ حاسوبِيَّةً مُعقَّدَةً، لكِنَّهُ كانَ يَهْوى كُلَّ ما هُوَ مُعقَّدٌ بِطَبيعَةِ الحالِ.

استَغْرَقَتْ مِنهُ التَّعليقاتُ الَّتي تَزيدُ عَلى ثَلاثِمئَةٍ، اليَومَ بِطولِهِ، وَلَكِنَّهُ

وَمَعَ الـهَزيعِ الأَخيرِ مِنَ اللَّيلِ، كانَ يَبدو مِنَ ابتِسامَتِهِ الظّافِرَةِ، أَنَّهُ تَوَصَّلَ إلى شَيءٍ ما.



شَيءٍ ثَمينٍ لِلغايَةِ.

***

"أَظُنُّ القاتِلَ يُتابِعُني"، قالَ فَهْمي لِصَديقِهِ بِابتِسامَةٍ باهِتَةٍ.

"ماذا؟!" قالَ عَيّادٌ مَفزوعًا في جِلسَتِهِ بِالنّادي الاجتِماعيِّ.

هَزَّ فَهْمي رَأسَهُ دونَما تَعْقيبٍ، فَأَردَفَ عَيّادٌ: "فَهْمي، هَل تُدرِكُ خُطورَةَ صِحَّةِ ما تَقولُ؟".

قالَ فَهْمي: "لَقَد أَجرَيتُ اختِبارًا بَسيطًا، فَقَط عَبْرَ تَتَبُّعِ أَرقامِ (الآي بي) لِأَصحابِ التَّعليقاتِ، تَوَصَّلتُ لِلأَماكِنِ الَّتي تَصدُرُ مِنها تَعليقاتُهُم. النَّتيجَةُ؛ كانَ أَغلَبُهُم مِن هذا البَلَدِ، إلّا اثنَينِ أَو ثَلاثَةً، مِنَ الخارِجِ".

تَساءَلَ صَديقُهُ:

"وَما في ذِلِكَ؟! هَل يوجَدُ ما يَمنَعُ مُشاهَدَةَ فيديوهاتِكَ مِن خارِجِ الدَّولَةِ؟"،

بَقِيَ فَهْمي عَلى صَمْتِهِ... اكْتَفى بِمُراقَبَةِ الشَّمسِ الموشِكَةِ عَلى الـمَغيبِ، فَأَردَفَ عَيّادٌ: "تَقولُ اثنَينِ أَو ثَلاثَةً! فَكَيفَ حَدَّدتَ القاتِلَ مِن بَينِهِم؟".

أَجابَ فَهْمي: "اثْنانِ مِنهُم بَقوا في ذاتِ الدَّولَةِ الَّتي تَصدُرُ تَعليقاتُهُم مِنها، أَمّا الثّالِثُ، فَأَرادَ أن يَزيدَ مِن صُعوبَةِ تَتَبُّعِهِ، فَجَعَلَ كُلَّ تَعليقٍ صادِرًا مِن دَولَةٍ مُـختَلِفَةٍ، رَغمَ أَنَّ الـمَسافَةَ الزَّمَنيَّةَ بَينَ كُلِّ تَعقيبٍ وَآخَرَ، لا تَتَجاوَزُ السّاعَةَ".

تَـمْتَمَ عَيّادٌ: "فِعلًا، ما الَّذي يَدعو أَحَدَهُم لِذلِكَ، إلّا أَن يَكونَ لَدَيهِ حَقًّا ما يُريدُ إخفاءَهُ".

وَصَمَتَ لَـحظَةً، ثُمَّ قالَ: "ذلِكَ لا يُغَيِّرُ مِن خُطورَةِ الوَضْعِ، ماذا سَتَفعَلُ؟".

هَزَّ فَهْمي رَأسَهُ كَما لَو يَزِنُ شَيئًا ما، وَقالَ: "ما دامَ يُتابِعُني، إذَن هُوَ يَنتَظِرُ مِنّي الـمَزيدَ".

وَصَمَتَ لَـحظَةً، ثُمَّ مالَ بِرَأسِهِ، قائِلًا: "وَأَنا لَن أَخذُلَهُ".

* * *

"أَهلًا بِكُم وَحَلْقَةٌ جَديدَةٌ مِن بَرنامَجِ (الوَعيِ الـجِنائيِّ).

هذِهِ الـحَلْقَةُ امتِدادٌ لِـما ذَكَرتُهُ في الـحَلقَةِ السّابِقَةِ عَن جَرائِمِ القَتْلِ الأَخيرَةِ. شَخصيًّا تَفاجَأتُ مِنَ الزَّخْمِ الَّذي صاحَبَ قَوْلي، بِأَنَّ مُرتَكِبَ تِلكَ الـجَرائِمِ واحِدٌ. في هذِهِ الـحَلْقَةِ أَجتَهِدُ أَكثَرَ... كَعادَتي لَن أُسهِبَ كَثيرًا. الأَمرُ بِإيجازٍ مُرتَكِبُ تِلكَ الـجَرائِمِ لَـم يَكُنْ يَقتُلُ لِـمُجَرَّدِ القَتْلِ، هذا القاتِلُ لَيسَ مَهْووسًا وَإنَّما يَفعَلُ ما يَفعَلُ لِأَسبابٍ وَقَناعاتٍ تُـحَرِّكُهُ وَيُؤْمِنُ بِها!".

وَجالَ بِعَينَيْهِ في الأَرقامِ الإحصائيَّةِ لِبَثِّهِ الـحَيِّ، وَقالَ: "عَدَدُ الـمُتابِعينَ لِلبَثِّ الـمُباشِرِ هذِهِ الـمَرَّةَ يُـحَقِّقُ رَقْمًـا قِياسيًّا. هذا جَـميلٌ، تَعليقاتُكُم تَتَوالى لِدَرَجَةٍ سَتُبطِئُ إيقاعَ الـحَلْقَةِ إنْ تابَعْتُها تَعليقًا تَعليقًا، لِذا أَعِدُكُم بِتَخْصيصِ حَلْقَةٍ مُنفَصِلَةٍ لِلرَّدِّ عَلى كافَّةِ التَّعليقاتِ وَالأَسئِلَةِ".

وَأَخَذَ رَشْفَةَ شايٍ مِن كوبٍ مِنَ البورسلين مَوْسومٍ بِشِعارِ قَناتِهِ، هَديَّةٍ مِن صَديقِهِ عيّادٍ، ثُمَّ تابَعَ: "نَعودُ لِـمَوضوعِنا، هذا القاتِلُ يَقتُلُ عَن سَبْقِ إصرارٍ وَتَرَصُّدٍ، لا أَقصِدُ الـمَعنى التَّقليديَّ لِلتَّعبيرِ، وَلكِنْ أَقصِدُ أَنَّهُ يَفعَلُ ذلِكَ بِناءً على عَقيدَةٍ. بِبَساطَةٍ، لِلوُصولِ إلى القاتِلِ، لَيسَ عَلى الشُّرطَةِ سِوى تَتَبُّعِ القَتْلى، وَالقاسِمُ الـمُشتَرَكُ بَينَهُم؛ سَيَكونُ القاتِلَ".

انْهَمَرَتِ التَّعليقاتُ فَورًا، كَما لَوِ الـمُشاهِدونَ يُتابِعونَ، وَأَصابِعُهُم مُتَأَهِّبَةٌ فَوقَ لَوحاتِ الـمَفاتيحِ. تابَعَ فَهْمي: "القاتِلُ لَدَيهِ تاريخٌ سابِقٌ مَعَ الضَّحايا... في الواقِعِ، ثَمَّةَ رابِطٌ يَربُطُ بَينَ القَتْلى، هذا الرّابِطُ حَتمًا يَندَرِجُ ضِمنَهُ القاتِلُ".

وَاحتَدَّتْ نَظَراتُهُ: "أَمرٌ كَهذا يَـحتاجُ إلى تَخطيطٍ مُسبَقٍ قبلَ زَمنٍ طَويلٍ، هذا يُوَصِّلُنا إلى شَيئَينِ: أَوَّلُـهُما أَنَّ القاتِلَ لَيسَ شابًّا غِرًّا، بَل هُوَ شَخصٌ ناضِجُ العُمرِ عَلى الأَرجَحِ. هذا يُـخرِجُ قِطاعًا عُمْريًّا مُعتَبَرًا مِن دائِرَةِ الاشتِباهِ".

ثانيهِما: "طَريقَةُ القَتْلِ لا تَشي بِالحاجَةِ إلى قُوَّةٍ بَدَنيَّةٍ بالِغَةٍ. هذا يُوَسِّعُ دائِرَةَ الاشتِباهِ. الشّاهِدُ: لَيسَ شَرطًا كَونُ القاتِلِ رَجُلًا... قَد يَكونُ امرَأَةً".

وَاعتَدَلَ كَما لَو سَيَقولُ شَيئًا ما: "الـمُفتَرَضُ أَنْ أُنهِيَ الـحَلْقَةَ الآنَ، لكِنّي سَأَختِمُها بِمُفاجَأَةٍ... اسمُ الضَّحيَّةِ القادِمَةِ لِلقاتِلِ".

وَصَمَتَ لَـحظَةً، ثُمَّ تَـحَرَّكَتْ شَفَتاهُ بِبُطءٍ، لافِظًا الاسمَ.

* * *



(تَتبُّعٌ)



"راجي هِدايَتْ، نَقيبُ الأَطِبّاءِ السّابِقُ!".

تك، تك، تك.

اكتَفى فَهْمي بِالضَّغطِ الـمُتَكَرِّرِ عَلى رَأسِ قَلَمِهِ "الزُّنْبُرُكيِّ"، تارِكًا تَعليقَ صَديقِهِ عَيّادٍ مُعَلَّقًا في هَواءِ غُرفَتِه.

تابَعَ عَيّادٌ: "ما إنْ سَمِعتُ تَصريـحَكَ بِاسمِ الضَّحيَّةِ القادِمَةِ حَتّى تَرَكتُ ما بِيَدي وَأَتَيتُ إلَيكَ فَورًا، هَل تُدرِكُ حَجمَ البَلْبَلَةِ النّاجِـمَةِ عَن تَصريحٍ كَهذا؟!".

غَمْغَمَ فَهْمي: "كانَ لا بُدَّ مِن ذلِكَ، هذِهِ حَياةٌ لا بُدَّ مِن إنْقاذِها".

هَتَفَ عَيّادٌ: "وَماذا إنْ كُنتَ مُـخطِئًا؟! ماذا إنْ عادَ عَلَيكَ هذا الرَّجُلُ بِالتَّعويضِ بِسَبَبِ تَشْهيرِكَ بِهِ؟".

"تَشهيرٌ! أنا لَـم أَسُبَّهُ، فَقَط أَشَرتُ إلى الـخُطورَةِ الَّتي تَتَهَدَّدُهُ".

"وَماذا تَتَوَقَّعُ أَن تَفعَلَ الشُّرطَةُ؟".

"مِنَ الـمُتَوَقَّعِ أَلّا تَـحفِلَ لِكَلامِ فَتًى يافِعٍ مِثْلي، وَلكِنَّها سَتَذهَبُ في النِّهايَةِ

عَلى كُرْهٍ، خَشيَةَ أَن يَصدُقَ تَوَقُّعي، وَوَقتَها سَيَكونُ مَوقِفُهُم في غايَةِ الحَرَجِ".

قالَ عَيّادٌ مَبهوتًا: "لِذلِكَ أَعلَنتَ ما أَعلَنتَ عَلى المَلَأِ، لِتُحرِجَهُم؟!".

أَوْمَأَ فَهْمي بِرَأسِهِ: "لِأُرغِمَهُم عَلى التَّحَرُّكِ لِإنقاذِهِ".

سادَ الصَّمتُ لَحَظاتٍ، ثُمَّ تَساءَلَ عَيّادٌ: "بِرَأيِكَ؛ لِماذا نَقيبُ الأَطِبّاءِ بِالذّاتِ؟".

قالَ فَهْمي: "راجِعْ مَعي الضَّحايا السّابِقينَ... هالَةُ سُوَيْدانُ، امرَأَةٌ خَمسينيَّةٌ صاحِبَةُ سِلسِلَةِ مُستَشْفَياتٍ خاصَّةٍ ذائِعَةِ الصّيتِ. عَمرٌو غَنّامٌ؛ رَجُلٌ سِتّينيٌّ، نائِبُ مُديرِ مَصْرِفٍ استِثْماريٍّ، وائِلُ الكَحْلا، مُديرُ إدارَةِ المَبيعاتِ بِشَرِكَةٍ تَعمَلُ في صِناعَةِ البْلاستيكِ".

قالَ عَيّادٌ مُحْتارًا: "ما الرّابِطُ بَينَ هؤلاءِ، وَبَينَ نَقيبِ الأَطِبّاءِ السّابِقِ".

قامَ فَهْمي لِيَذْرَعَ الغُرفَةَ، وَالتَّوَتُّرُ بادٍ عَلَيهِ: "أوف! أَخْشى أَلّا تَتَحَرَّكَ الشُّرطَةُ أَو تَتَأَخَّرَ!".

نَظَرَ إِلَيهِ عَيّادٌ في حَيْرَةٍ، فَقالَ فَهْمي مُجيبًا عَن سُؤالِ صَديقِهِ: "الطِّبُّ يا صاحِبي، الطِّبُّ هُوَ ما يَربُطُ بَينَهُم جَميعًا".

استَوضَحَ عَيّادٌ: "وَما عَلاقَةُ المَصرِفِ الاستِثماريِّ، وَإدارَةِ المَبيعاتِ بِالطِّبِّ؟!".

أَشارَ فَهْمي لِلحاسوبِ المَحمولِ: "الإنتَرنِت أَرشيفٌ مُمتازٌ لِلأَخبارِ يا صَديقي خاصَّةً لِمَن يَعلَمُ كَيفَ يَبحَثُ!"، وَنَظَرَ لِلسّاعَةِ في مِعصَمِهِ، ثُمَّ تابَعَ: "عَمرٌو غَنّامٌ، نائِبُ مُديرِ مَصرِفٍ استِثماريٍّ، تُسَجِّلُ الأَخبارُ مُثولَهُ لِلتَّحقيقِ قَبلَ سَنَواتٍ بِتُهمَةِ التَّوَرُّطِ في تَمويلٍ باهِظٍ غَيرِ مُستَوفٍ لِلشُّروطِ، لِمُستَشفًى خاصٍّ شَهيرٍ. سَبَبُ تَسليطِ الضَّوءِ عَلى هذا المُستَشفى ذُيوعُ أَعدادِ الضَّحايا مِمَّنْ قَضَوْا نَحْبَهُم بِسَبَبِ ما عُرِفَ وَقتَها بِقَضِيَّةِ أَكياسِ الدَّمِ المُلَوَّثَةِ".

عَيّادٌ: "حَسَنًا، وَمُديرُ المَبيعاتِ؟!".

فَهْمي: "أَلَم تَفطُنْ بَعدُ؟ شَرِكَتُهُ مُتَخَصِّصَةٌ في إنتاجِ البْلاستيكِ... أَكياسُ الدَّمِ المُلَوَّثَةُ كانَتْ مِن إنتاجِ مَصنَعِهِ!"، وَصَمَتَ بُرهَةً، ثُمَّ قالَ: " مَنْ يَهَبْ حاضِرَهُ لِلانتِقامِ، فَقَد وَهَبَ مُستَقبَلَهُ لِلعَدَمِ".

ظَهرَ التَّشَوُّشُ في نَظَراتِ عَيّادٍ... بَدا كَما لَو سَيَطرَحُ سُؤالًا جَديدًا،

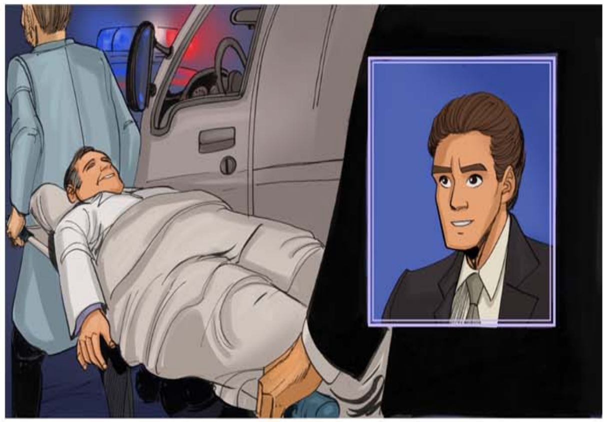
لَوْلا أن قَفَزَ فَهْمي بَغتَةً كَالْمَلْدوغِ عَلى حاسوبِهِ المَفتوحِ عَلى عِدَّةِ نَوافِذَ إخبارِيَّةٍ.

الْتَهَمَ بِعَينَيهِ "المانشيت" الرَّئيسيَّ في إحْدى النَّوافِذِ، وَصَدرُهُ يَعْلو وَيَهبِطُ في انفِعالٍ. انتبَهَ عَيّادٌ لِمَسارِ نَظَراتِ صَديقِهِ... قامَ لِيَرى، وَما لَبِثَ أنْ شَهِقَ انفِعالًا.

كانَتْ صورَةُ فَهْمي تَتَقاسَمُ الشّاشَةَ مَعَ صورَةِ رَجُلٍ سِتّينيٍّ، وَأَسفَلَها عُنوانٌ:

صِدقُ تَوَقُّعاتِ "اليوتيوبر" فهمي فهيم:

الشُّرطَةُ تَنقُلُ النَّقيبَ السّابِقَ لِلمُستَشفى في حالَةٍ حَرِجَةٍ



***

(استِدعاءٌ)

جَلَسَ فَهْمي فَهيمٌ زيدانُ عابِسًا في حُجرَةِ رَئيسِ الـمَباحِثِ. كانَتِ الشُّرطَةُ قَد أَتَتْ لِتَصطَحِبَهُ عَلى عَجَلٍ، فَورَ نَقْلِ نَقيبِ الأَطِبّاءِ السّابِقِ لِلمُستَشفى. تَضايَقَ فَهْمي حينَما تَـمَثَّلَ تَقريعَ أَبيهِ الـمُتَوَقَّعَ، لكِنَّهُ جَمْجَمَ كَما لَو يُطَمئِنُ نَفسَهُ: "في النِّهايَةِ، تَمَّ إنقاذُ حَياةِ أَحَدِهِم".

في هذِهِ اللَّحظَةِ دَخَلَ أَبوهُ، مُحتَقِنَ الوَجهِ، ناريَّ النَّظَراتِ. أَلقى عَلى نَجلِهِ نَظرَةً سَريعَةً، وَدَخَلَ في إثْرِهِ رَئيسُ الـمَباحِثِ مُكفَهِرَّ الوَجهِ، فبادَرَهُ فَهْمي: "سِيادَةَ الـمُقَدَّمِ، ما حالَةُ السَّيِّدِ نَقيبِ الأَطِبّاءِ السّابِقِ؟".

أَلقى رَئيسُ الـمَباحِثِ جَسَدَهُ فَوقَ مَقعَدِهِ عِندَ رَأسِ الـمَكتَبِ، وَأَشعَلَ سيجارَةً في عَصَبيَّةٍ. خَيَّمَ الصَّمتُ لَحظاتٍ، ثُمَّ قالَ فَهيمٌ: "أَلَـم تَعلَمْ بَعدُ؟! لَقَد قَضى نَحْبَهُ في العِنايَةِ الفائِقَةِ، مُتَأَثِّرًا بِإصابَتِهِ".

وَهَوَتِ العِبارَةُ عَلى فَهْمي كَشُحْنَةٍ كَهرَبائيَّةٍ أُفرِغَتْ في جَسَدِهِ!

***

"قَد جُنَّ جُنونُ الإعلامِ!".

قالَ عَيّادٌ مُستَنِدًا إلى إفْريزِ شُرْفَةِ غُرفَةِ فَهْمي، الَّذي وَقَفَ مُنتَصِبًا رانِيًا لِلأُفُقِ بِنَظَراتٍ شارِدَةٍ.

تابَعَ عَيّادٌ مُداعِبًا: "لَـم أَتَـخَيَّلْ قَطُّ أَن أَراكَ مَوضوعًا لِلصُّوَرِ الطَّريفَةِ عَلى مِنَصّاتِ التَّواصُلِ، وَجَـميعُها ذاتُ مَوضوعٍ واحِدٍ؛ إِحْراجُكَ لِأَجهِزَةِ الأَمنِ".

وَوَكَزَ فَهْمي: "قَد بَزَغَ نَجمُكَ يا فَتى، أَخبارُكَ باتَتْ تُنافِسُ أَخبارَ والِدِكَ الـمُحامي الشَّهيرِ وَقَضاياهُ وَمُرافَعاتِهِ".

"هذا شَيءٌ يُسعِدُني يا بُنَيَّ".

الْتَفَتَ عَيّادٌ لِقائِلِ العِبارَةِ... كانَ فَهيمًـا والِدَ فَهْمي، الَّذي دَلَفَ لِلشُّرفَةِ، وَرَبَّتَ عَلى كَتِفِ نَجلِهِ، مُردِفًا: "شَريطَةَ أَلّا يَكونَ ذلِكَ سَبَبًا في تَعْريضِ حَياتِهِ لِلخَطَرِ".

نَدَّتْ حَرَكَةٌ عَصَبيَّةٌ مِن جَفْنَيْ فَهْمي، كَما لَو مَسَّتِ العِبارَةُ وَتَرًا حَسّاسًا لَدَيهِ.

تابَعَ فَهيمٌ: "فَهْمي أَصغَرُ مَن أَنْ يَتَـحَمَّلَ ضُغوطًا إِعلاميَّةً بِهذِهِ الدَّرَجَةِ، كَما أَنَّهُ يَعبَثُ مَعَ قاتِلٍ في النِّهايَةِ!".

رانَ صَمتٌ ثَقيلٌ... بَدا عَيّادٌ كَما لَو يُـحاوِلُ تَـخفيفَهُ، عِندَما أَخرَجَ هاتِفَهُ الـجَوّالَ، مُشيرًا إلى شاشَتِهِ: "عَلى الأَقَلِّ هُناكَ جانِبٌ إيجابـيٌّ... انظُرا لِصَفحَةِ قَناةِ فَهْمي عَلى "اليوتيوب" أَو بِسائِرِ مِنَصّاتِ التَّواصُلِ، لَقَد قَفَزَتْ أَرقامُ الـمُشتَرِكينَ وَالإِعْجاباتِ بِصَفحَتِهِ قَفَزاتٍ نَوعيَّةً، أَتَوَقَّعُ أَن تَتَوالى عَلَيهِ الدُّروعُ قَريبًا".

تَكَلَّمَ فَهْمي بِهُدوءٍ: "بابا مُـحِقٌّ، ما جَرى حَتمًـا سَيَجذِبُ انتِباهَ الـمُجرِمِ جِدِّيًّا ناحِيَتي".

تَوَتَّرَتْ مَلامِحُ فَهيمٍ... نَضَحَتِ العَصَبيَّةُ في مَلامِـحِهِ، فيما يُردِفُ فَهْمي: "الإِعلامُ كَذلِكَ باتَ مُسَلَّطًا عَلَـيَّ، تِلكَ مَسؤوليَّةٌ ثَقيلَةٌ، لا أُنكِرُ أَنَّني أَتَوَجَّسُ مِنها".

وَصَمَتَ لَحظَةً، ثُمَّ قالَ: "وَلكِن هَل أَمامي طَريقٌ آخَرُ؛ بِخِلافِ المُضيِّ قُدُمًا؟!".

في هذِهِ اللَّحظَةِ، صَدَرَتْ نَغْمَةٌ قَصيرَةٌ مُـمَيِّزَةٌ لِقُدومِ الرَّسائِلِ مِن هاتِفِ فَهْمي الـجَوّالِ.



فَضَّ فَهْمي الرِّسالَةَ... سُرعانَ ما عَبَسَتْ مَلامِحُهُ مَعَ لَمَعانِ نَظرَةِ تَصميمٍ في عَينَيْهِ. خَطَفَ فَهيمٌ الهاتِفَ قارِئًا الرِّسالَةَ، لِيَمتَقِعَ وَجهُهُ آنيًّا.

تَجَرَّأَ عَيّادٌ وَأَخَذَ الهاتِفَ مِن يَدِ فَهيمٍ المُرتَخِيَةِ. الرّاسِلُ لَم يُظهِرْ رَقْمَهُ وَعِوَضًا عَن ذلِكَ ظَهَرَتْ جُملَةُ... (غَيرُ مَعْروفٍ)، أَمّا الرِّسالَةُ فَلَم تَتَخَطَّ كَلِمَةً واحِدَةً:



***

تَمَّ استِدْعاءُ فَهْمي إلى مَكتَبِ مُديرِ الأَمنِ العامِّ. كانَ والِدُهُ سَيَذهَبُ هُناكَ عَلى أَيَّةِ حالٍ... فَهيمٌ كانَ قَلِقًا عَلى ابنِهِ لِدَرَجَةِ انتِوائِهِ مُقابَلَةَ وَزيرِ الدّاخليَّةِ شَخصيًّا.

استَقبَلَهُما مُديرُ الأَمنِ العامِّ بِكُلِّ احتِرامٍ، وَأَصْغى لِفَهْمي بِانتِباهٍ كامِلٍ لِيَستَوعِبَ كَيفَ تَعامَلَ مَعَ القَضيَّةِ! ثُمَّ قالَ قانِطًا: "إذَن، تَرى أَنَّ دافِعَ القاتِلِ هُوَ الانتِقامُ؟".

أَوْمَأَ فَهْمي بِرَأسِهِ، فَقالَ مُديرُ الأَمنِ بِقُنوطٍ أَكبَرَ: "لا يَدْري هذا الـمَوتورُ أَنَّهُ يَرتَكِبُ ذاتَ الـخَطيئَةِ الَّتي يَنتَقِمُ لِأَجلِها!".

وَسادَ صَمتٌ لَـحَظاتٍ، ثُمَّ تَنَحْنَحَ فَهْمي: "فَقَط، أَحتاجُ إلى أَن أُلقِيَ نَظرَةً عَلى مَسرَحِ الـجَريمَةِ الأولى".

ضاقَتْ عَيْنا سِيادَةِ اللِّواءِ: "هالَةُ سُويدانُ! وَلِـماذا هِيَ بِالذّاتِ؟".

أَجابَ فَهْمي: "عِلاوَةً على أَنَّ هذِهِ هِيَ الـجَريمَةُ الأولى، إلّا أَنَّها عَلى وَحشِيَّتِها بَدَتْ لي نَظيفَةً أَكثَرَ مِنَ اللّازِمِ، لا عُنفَ، لا مُقاوَمَةَ، فَقَط حَمضُ كِبريتيكٍ مُرَكَّزٌ بِقَصدِ التَّشويهِ التّامِّ. أَعلَمُ أَنَّ ذلِكَ جَرى وَالضَّحِيَّةُ حَيَّةٌ. هذا تَوَحُّشٌ! لكِن كَما قَرَأتُ بِالصُّحُفِ لا آثارَ عُنفٍ مِن أَيِّ نوعٍ. تَكَرَّرَ هـذا بَعدَهـا في بَقِيَّةِ جَرائِمِ القَتلِ. هذا يَشي طَبعًا بِأَنَّ القاتِلَ كانَ مَألوفًا لِضَحاياهُ".

بَدا عَلى مُديرِ الأَمنِ العامِّ التَّفكيرُ، فَتَنَحْنَحَ فَهيمٌ: "اسـمَحْ لي سِيادَةَ اللِّواءِ إنْ أَرَدْتَ أَن يَأخُذَ هذا الإِجراءُ شَكلًا قانونِيًّا، فَبِوُسْعي أَن أَتَقَدَّمَ لِلنّائِبِ العامِّ بِطَلَبٍ رَسميٍّ لِلاطِّلاعِ عَلـ-"، قاطَعَهُ اللِّواءُ:

"لا، لا، لا داعِيَ. أُوافِقُ".

وَزَفَرَ راجِعًا بِظَهرِ مَقعَدِهِ لِلوَراءِ، مُخاطِبًا فَهْمي: "الآنَ، وَقَد أَجبتُ طَلَباتِكَ، ما سَتَسمَعُهُ الآنَ انتَبِهْ لَهُ جَيِّدًا".

وَرَمَقَهُ بِنَظرَةٍ طَويلَةٍ، قائِلًا: "لِأَمْنِكَ الشَّخصيِّ، وَأَمْنِ أُسرَتِكَ".

وَعَبَسَ فَهْمي، بَينَما تَزايَدَتْ ضَرَباتُ قَلبِ فَهْيمٍ.

* * *

دَلَفَ فَهْمي إلى حُجرَةِ مَكتَبِ هالَةَ سُوَيْدانٍ، حَيثُ لَقِيَتْ مَصْرَعَها. جالَ بِنَظَراتِهِ في الـمَكانِ، ثُمَّ قالَ مُندَهِشًا: "هَل هُنا قُتِلَتْ هالَةُ سُوَيْدانُ؟!".

أَوْمَأَ بِرَأسِهِ أَحَدُ ضابِطَيِ الـمَباحِثِ اللَّذَينِ اصطَحَباهُ.

ذَرَعَ فَهْمي الـحُجرَةَ: "الـمَكانُ يَبدو مُرَتَّبًا نَظيفًا بِأَكثَرَ مِـمّـا تَسمَحُ بِهِ جَريمَةُ قَتلٍ بِهذا الشَّكلِ".

لَـم يَلْقَ تَعقيبًا. بَدا الضّابِطانِ مُتَأَفِّفَينِ كَما لَو يَـجِدانِ اصطِحابَهُما لِـهذا الفَتى سَخافَةً مِن نَوعٍ ما.



لَـم يَبدُ عَلى فَهْمي التَّأَثُّرُ، وَإنَّما طَفِقَ في مَزيجٍ مِنَ الشَّغَفِ وَالاهتِمامِ، يَتَفَحَّصُ كُلَّ رُكْنٍ في الـحُجرَةِ. تَوَقَّفَ عِندَ لَوحَةٍ زَيتيَّةٍ كَبيرَةٍ تَتَوَسَّطُ الحائطَ... اللَّوحَةُ لِلقَتيلَةِ هالَةَ سُوَيْدانٍ، وَهِيَ جالِسَةٌ، مُنتَصِبَةُ الظَّهْرِ في كِبرِياءَ، ساقٌ عَلى أُخرى، واضِعَةٌ كَفَّيْها فَوقَ رُكْبَتِها، مُبتَسِمَةٌ في رَصانَةٍ. اللَّوحَةُ مَرسومَةٌ بِمَهارَةٍ لافِتَةٍ، كَأَنَّها صورَةٌ طَبيعيَّةٌ... لَفَتَ نَظَرَهُ خاتَمٌ ياقوتـيٌّ بَديعُ الشَّكلِ في بِنْصَرِها، ثُمَّ بَدا كَما لَو جَذَبَ انتِباهَهُ شَيءٌ آخَرُ في اللَّوحَةِ، تَأَمَّلَهُ عَن كَثَبٍ، دَنا لِيَتَشَمَّمَهُ... قَطَّبَ جَبينَهُ، ثُمَّ تابَعَ فَحصَهُ لِلحُجرَةِ. طَفِقَ يَفحَصُ بِبُطءٍ أَكبَرَ، تَوَقَّفَ كَثيرًا عِندَ كُلِّ سَنتيمِترٍ عِندَ نُقطَةِ الْتِقاءِ الحائِطِ بِالأَرضيَّةِ... فَعَلَ ذلِكَ بِتَمَهُّلٍ شَديدٍ حَتّى انتَهى مِن حَوائِطِها الأَربَعَةِ.

دَنا مِنهُ ضابِطا الـمَباحِثِ في هذِهِ اللَّحظَةِ، وَقالَ أَحَدُهُما في خُشونَةٍ: "أَلَـم يَأْنِ لَكَ أَن تَنتَهِيَ مِن أَلعابِكَ؟".

دَسَّ فَهْمي كَفَّيْهِ في جانِبَيْ بِنطالِهِ، وَقالَ بِهُدوءٍ: "اطمَئِنَّ، قَد أَنهَيتُها لِلتَّوِّ".

رَمَقَهُ الضّابِطُ بِخُشونَةٍ أَكبَرَ، كَما لَو يَستَوثِقُ، هَل يَسخَرُ مِنهُ أَم يُـجاريهِ!

إلّا أن "فَهمي" أشارَ لـهُما بِأدَبٍ: "مِن فَضلِكُما، ائْتِيا مَعي لِلَحَظاتٍ".

وَأشارَ إلى مَوضِعٍ بِالزّاوِيَةِ السُّفلى لِلَّوحَةِ الفَنِّيَّةِ لِلضَّحِيَّةِ: "انظُرا إلى هذا الغُبارِ إنَّها نَثَراتٌ مِن مَسحوقٍ أَبيَضَ".

اقتَرَبا مِنهُ بِنَظَراتٍ مُتَسائِلَةٍ. دَقَّقا النَّظَرَ، فيما فَهْمي يُتابِعُ: "هذِهِ آثارُ طَبشورَةٍ".

قالَ أَحَدُهُما: "سَنَرجِعُ لِتَقريرِ الـمَعمَلِ الـجِنائيِّ، لِنَرى ماهيَتـ..". قاطَعَهُ فَهْمي بِأَدَبٍ: "قَد قَرَأتُ التَّقريرَ جَيِّدًا، لا ذِكرَ فيهِ لِأَيٍّ مِـمّـا سَأَقولُهُ تالِيًا".

وَجَمَ الضّابِطانِ، فيما فَهْمي يُتابِعُ: "هذِهِ طَبشورَةٌ، وُجودُها يُشيرُ إلى عَدَدٍ مِنَ الـمِهَنِ الـمُحتَمَلَةِ لِلجاني؛ مِن بَينِها أَن يَكونَ لاعِبَ رَفْعِ أَثقالٍ، أَو مُدَرِّسًا، أَو يَهْوى البِلياردو".

اتَّسَعَتْ عَينا أَحَدِهِما، فيما سارَعَ الآخَرُ مُتَوَتِّرًا بِمُحاوَلَةِ إجراءِ اتِّصالٍ ما بِهاتِفِهِ النَّقّالِ، إلّا أَنَّ "فَهمي" أَوْقَفَهُ بِحَرَكَةٍ مِن يَدِهِ، مُشيرًا إلَيهِما لِيَتبَعاهُ: "لَـم أَنتَهِ بَعدُ. تَبَقّى شَيءٌ آخَرُ".

وَسارَ أَمامَهُما، حَتّى وَصَلَ إلى مُنتَصَفِ الـجِدارِ. جَثا عَلى رُكبَتِهِ... أَشارَ إلى نِقاطٍ مُتَباعِدَةٍ مِن مِياهٍ، وَقالَ: "انظُرا".

انحَنى الضّابِطانِ لِيُدَقِّقا فيما أَشارَ إلَيهِ. أَخرَجَ فَهْمي أُنبوبًا صَغيرًا جِدًّا يُشبِهُ نَظيرَهُ مِـمّـا يَـحْوي عَيِّناتِ العُطورِ، لكِنَّ هذا كانَ بِداخِلِهِ مَسحوقٌ ورديُّ اللَّونِ... أَخَذَ مِنهُ فَهْمي نَثْرَةً بِطَرَفِ إصبَعِهِ في حِرصٍ، ثُمَّ نَثَرَهُ فَوقَ إحدى النِّقاطِ... تَصاعَدَ فَورًا بُخارٌ بَنَفسَجيٌّ... تَشَكَّلَتِ ابتِسامَةٌ ظافِرَةٌ فَوقَ شَفَتَيهِ وَهُوَ يُعاوِدُ الوُقوفَ. حَـمْلَقَ بِهِ الضّابِطانِ، وَقالَ أَحَدُهُـما مُستَنكِرًا: "بُخارٌ! ماذا في ذلِكَ أَيُّها الـمُتَذاكي؟!".

أَوضَحَ فَهْمي: "الـمَسحوقُ الَّذي نَثَرتُهُ لا يَتَفاعَلُ إلّا مَعَ مادَّةٍ بِعَينِها"، وَأَشارَ إلى نِقاطِ الـمِياهِ الباقِيَةِ الـمُتَباعِدَةِ عَلى الأَرضِ: "هذا لَيسَ ماءً عادِيًّا. هذا ماءٌ مُؤَكسَدٌ، أَو بِعِبارَةٍ أُخرى؛ بيروكسيد الهيدروجين".

ازدادَتْ نَظَراتُ الاستِفهامِ مِنَ الضّابِطَينِ، فَدارَ فَهْمي حَولَ نَفسِهِ، مُشيرًا إلى حَوائِطِ الـحُجرَةِ وَأَرضِيّاتِها:



"مَعْنى أَنَّ هذا الـمَكانَ تَمَّ مَسْحُهُ بِبيروكسيدِ الهيدروجين، أَنَّ ثَمَّةَ حادِثَةَ قَتْلٍ أُخرى وَقَعَتْ هُنا، حادِثَةً دَمَوِيَّةً، استَدعَتْ مَسحَ الـجُدرانِ وَالأَرضيّاتِ بِماءٍ مُؤَكْسَدٍ، لِإِخفاءِ آثارِ الدِّماءِ أَمامَ أَجهِزَةِ البَحثِ الـجِنائيِّ!".

وَانفَجَرَتْ عِبارَتُهُ كِقُنبُلَةِ صَوتٍ، انفَجَرَتْ في وَجهَيهِما!

***



(الاجتِماعُ)

جَلَسَ فَهيمٌ مُتَوَتِّرًا، وَهُوَ يَرقُبُ وَلَدَهُ مُستَوِيًا في جِلسَتِهِ، يَرمُقُ بِشَغَفٍ رِجالَ الأَمنِ عَلى مُختَلِفِ رُتَبِهِم حَتّى يَصِلَ إلى اللِّواءِ مُساعِدِ وَزيرِ الدّاخِلِيَّةِ رَأسِ الاجتِماعِ. وَبِنَوعٍ مِن سُرورٍ خَفِيٍّ، ساوَرَهُ أَنَّ نَجْلَهُ مَدعُوٌّ إلى اجتِماعٍ بِهذِهِ الخُطورَةِ!

وَعِندَما أُذِنَ لِفَهْمي بِالحَديثِ قالَ: "أعلَمُ أَنَّ وَراءَكُم مَسؤوليّاتٍ جِسامًا، لِذا لَن آخُذَ مِن وَقتِكُمُ الكَثيرَ".

انصَبَّتِ النَّظَراتُ الخَشِنَةُ عَلَيهِ، فيما يُتابِعُ بِذاتِ النَّبرَةِ: "لَم تَعُدْ سِوى فُرصَةٍ واحِدَةٍ أَخيرَةٍ، لِلقَبضِ عَلى المُجرِمِ القاتِلِ. أَظُنُّهُ بَعدَها سَيَتَبَخَّرُ تَمامًا".

تَعَكَّرَتِ الوُجوهُ وَامتَعَضَتْ، تَمازَجَتِ النَّظَراتُ ما بَينَ مُهتَمٍّ وَمُشَكِّكٍ، إلّا أَنَّ "فهمي" تابَعَ: "فَريدٌ قُلَيبٌ، الضَّحيَّةُ الأَخيرَةُ!".

ضاقَتْ عَيْنا مُساعِدِ وَزيرِ الدّاخليَّةِ: "المُحامي الشَّهيرُ!".

أَومَأَ فَهْمي بِرَأسِهِ: "الَّذي قَبِلَ التَّرافُعَ عَنِ المُتَّهَمينَ -القَتْلى- في قَضيَّةِ أَكياسِ الدَّمِ المُلَوَّثَةِ، وَأَفلَحَ في جَلْبِ البَراءَةِ لِمُوَكِّليهِ".

"وَلِـماذا هُوَ بِالذّاتِ؟"، تَساءَلَ رَئيسُ مَباحِثِ العاصِمَةِ مُتَشَكِّكًا.

فَهْمي: "هُوَ الـحَلْقَةُ الأَخيرَةُ الَّتي لا تَزالُ حَيَّةً في قَضيَّةِ أَكياسِ الدَّمِ الـمُلَوَّثَةِ، الَّتي قَضى بِسَبَبِها ثَمانونَ روحًا وَنَيِّفًا".

انبَعَثَ صَوتُ فَهْيمٍ مُستَغرِبًا:"فَريدٌ قامَ بِواجِبِهِ الـمِهَنيِّ كَمُحامٍ في الـمَقامِ الأَوَّلِ، كَيـفَ يُعاقَبُ عَلى ذلِكَ؟!".

الْتَوَتِ الأَعناقُ تُحَدِّقُ بِهِ بِاستِنكارٍ، إلّا أَنَّ "فَهْمي" قالَ: "لا غَرْوَ! الـمُجرِمُ مَوتـورٌ. أَلغَـتْ عاطِفَتُهُ عَقلَهُ... هُوَ قَريبُ أَحَدِ صَرْعى أَكياسِ الدَّمِ عَلى الأَرجَحِ".

بَدا تَوَتُّرٌ غامِضٌ عَلى مَلامِحِ فَهيمٍ، فيما قالَ مُسـاعِدُ وَزيرِ الأَمنِ بِنَبرَةٍ ساخِطَةٍ: "الانتِقامُ عَدالَةُ الـهَمَجِ!".

فَرَكَ أَحَدُ مُفَتِّشي الـمَباحِثِ ذَقْنَهُ: "عَدَدُ ضَحايا هذِهِ القَضيَّةِ سِتٌّ وَثَمانونَ نَفْسًا بِالضَّبطِ. رَيْثَما نَحصُرُ أَبناءَهُم وَأَقارِبَهُم، وَنَتَبَيَّنُ الأَقرَبَ مِنهُم لِلاشـتِبا...".

قاطَعَهُ اللِّواءُ مُسـاعِدُ وَزيرِ الدّاخِليَّةِ بِنَبرَةٍ رَخيمَةٍ: "سَـتَكونُ الضَّحيَّةُ الأَخيرَةُ قُتِلَت مُنذُ زَمَنٍ".

قالَ رَئيسُ الـمَباحِثِ بِخُشونَةٍ: "وَإذا كانَ استِنباطُكَ في تَحديدِ الـمُحامي ضَحيَّةً في غَيرِ مَوضِعِهِ؟!".

فَهْمي: "وارِدٌ جِدًّا عَدَمُ دِقَّةِ استِدْلالي... يَبقى أَنَّ هذا اجتِهادي، لا أُلزِمُ بِهِ أَحَدًا. الأَحوَطُ إبقاءُ القَوْسِ مَفتوحًا لِتَضَعوا فيهِ ما يَتَراءى لَكُم مِن مُشـتَبَهينَ، أَو ضَحايا آخَرينَ جُدُدٍ مُـحتَمَلينَ".

جالَ اللِّواءُ مُساعِدُ وَزيرِ الدّاخِليَّةِ بِنَظَراتِهِ في الـحُضورِ، ثُمَّ قالَ كَالـمُسْتاءِ: "يَـجدُرُ فِعلًا تَوسيعُ دائِرَةِ الاشتِباهِ، وَالاستِعدادُ التّامُّ لِكُلِّ الاحتِمالاتِ، وَفي كافَّةِ الـمَحاوِرِ".

* * *



(الصَّيْدُ وَالصَّيّادُ)

دَلَفَ "فَريدٌ قُلَيبٌ" الـمُحامي الشَّهيرُ إلى فُندُقِ "الفورسيزونز" أَحَدِ أَفخَرِ فَنادِقِ العاصِمَةِ. عَرَّجَ عَلى مُوَظَّفي الاستِقْبالِ... سَأَلَ بِصَوتٍ رَخيمٍ وَبِنَبرَةٍ مُتَعَجرِفَةٍ وَهُوَ يَأخُذُ بِطاقَةَ غُرفَتِهِ الـمُمَغنَطَةَ: "هَل سَأَلَ أَحَدٌ عَنّي".

رَدَّتْ مُوَظَّفَةُ الاستِقْبالِ بِأَدَبٍ جَمٍّ: "لَيسَ بَعدُ يا أستاذُ".

نَظَرَ لَـها باستِعْلاءٍ، وَسارَ بِخُطُواتٍ رَصينَةٍ نَحوَ الـمِصعَدِ، تُصاحِبُهُ طَرَقاتُ حِذائِهِ الباهِظِ الثَّمَنِ عَلى الأَرضيَّةِ الرُّخاميَّةِ الـمَصْقولَةِ.

لَبِثَ هَوْنًا حَتّى أَتى المِصعَدُ. دَلَفَ مَعَهُ أُناسٌ كُثُرٌ... قالَ لِعامِلِ الـمِصعَدِ بِذاتِ النَّبرَةِ الرَّخيمَةِ: "الدَّورُ الأَخيرُ".

***

قالَ أَحَدُ الألوِيَةِ: "إذَنْ، يَتَعَيَّنُ إرسالُ قُوَّةٍ أَمنيَّةٍ فَورًا لِذلِكَ الـمُحامي وَاصطِحابُهُ لِـجِهَةٍ مَـجهولَةٍ، عَلَيها حِراسَةٌ صارِمَةٌ مُشَدَّدَةٌ".

"تؤتؤتؤ". هَزَّ فَهْمي رَأسَهُ نَفْيًا وَقالَ: "يَـجِبُ القَبضُ عَلَيهِ مُتَلَبِّسًا".

هَتَفَ أَحَدُ الأَلْوِيَةِ: "تُريدُ تَعريضَ حَياةِ ذلِكَ الـمُحامي لِلخَطَرِ؟!".

فَهْمي: "لا يوجَدُ فَخٌّ دونَ طُعْمٍ، وَلا خَطَرَ عَلَيهِ ما دُمْنا جَميعُنا نَثِقُ في كَفاءَةِ شُرطَتِنا".

***

أَجهِزَةُ الأَمنِ نَصَحَتْهُ بالدَّورِ الأَخيرِ، حَيثُ يَسهُلُ تَأمينُهُ. مَضَتْ خَمسَةُ أَيّامٍ وَقَد بَدَأَ فَريدٌ قُليبٌ يَضجَرُ فِعلًا، حِراسَةٌ عِندَ مَكتَبِهِ... حِراسَةٌ عِندَ مَدخَلِ الفُندُقِ، وَمَدخَلِ غُرفَتِهِ. لَقَد أَجبَروهُ عَلى تَرْكِ مَسْكَنِهِ لِيَسهُلَ تَأمينُهُ... الأَمنُ مَنِ اختارَ لَهُ هذا الفُندُقَ... كُلُّ شَيءٍ تَحتَ المُراقَبَةِ، لَن يَلمِسَهُ المُجرِمُ، كَما أَكَّدَتْ لَهُ الأَجهِزَةُ الأَمنيَّةُ.

"مُجرِمٌ! أَيُّ مُجرِمٍ؟ مَن يَستَطيعُ النَّيْلَ مِن فَريدٍ قُليبٍ؟!"، تَساءَلَ بِنَبرَةٍ شَديدَةِ الخُفوتِ في سُخْطٍ، وَهُوَ يَستَعِدُّ لِسَحبِ سيجارٍ كوبيٍّ مِن حَقيبَتِهِ الجِلديَّةِ.



لَم يَنتَبِهْ أَنَّ النّاسَ تَناقَصَ عَدَدُهُم واحِدًا بَعدَ آخَرَ مَعَ اقتِرابِ وُصولِهِ لِلدَّورِ الأَخيرِ، الَّذي لا يَقطُنُهُ سِوى الأُناسِ الفاحِشي الثَّراءِ.

الآنَ، لَيسَ هُناكَ سِواهُ! مَعَ اقتِرابِ الوُصولِ، تَقَدَّمَ خُطوَةً لِلأَمامِ لِيَقِفَ عَلى حافَّةِ بابِ المِصعَدِ، وَما يَدْري إلّا وَشَعَرَ بِوَخْزَةٍ تَكادُ لا تُلحَظُ في جانِبِ رَقَبَتِهِ... تَضايَقَ وَاستَدارَ لِلخَلفِ، مُتَسائِلًا! وَجَدَ عامِلَ المِصعَدِ في يَدِهِ مِحْقَنٌ مَعدِنيٌّ صَغيرٌ، وَعَلى وَجهِهِ أَعْتى تَعابيرِ الكَراهِيَةِ.

انقَبَضَ قَلبُ فَريدٍ... انتابَهُ دُوارٌ مُفاجِئٌ... وَضَعَ يَدَهُ عَلى جانِبِ رَقَبَتِهِ، وَقالَ: "ما... هـ ...؟"، قاطَعَهُ عامِلُ المِصعَدِ لِيَقولَ في بُغْضٍ: "يَسْري الآنَ في دِمائِكَ نَفسُ التَّلَوُّثِ بِالأَكياسِ إيّاها!".

أَرادَ فَريدٌ أَن يَرُدَّ... أَرادَ أَن يُدافِعَ عَن نَفسِهِ، لَوْلا أَن أَظلَمَتْ دُنْياهُ فَجأَةً.

***

قالَ فَهْمي: "الخَطيرُ الآنَ، أَنَّ المُجرِمَ باتَ يَعلَمُ بِاحتِماليَّةِ استِباقِ خُطُواتِهِ، قَد يَجعَلُهُ ذلِكَ يُسرِعُ مِن وَتيرَتِها، هذا قَد يُحبِطُ كُلَّ شَيءٍ. يَجِبُ أَن نَكسِبَ بَعضَ الوَقتِ".



أَحَدُ الأَلوِيَةِ: "وَكَيفَ ذلِكَ؟".

فَهْمي: "تَهدِئَةُ الأَوضاعِ، يَجِبُ أَن نوحِيَ لِلقاتِلِ بِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ قَدِ انتَهى في نَظَرِنا".

انْصَبَّتْ إلَيهِ النَّظَراتُ الـمُهتَمَّةُ. تابَعَ: "مِن ناحِيَتي، سَأَظهَرُ اليَومَ، أُعلِنُ عَلى قَناتي تَوَقُّعي بِأَنَّ القَضيَّةَ انتَهَتْ لِلأَسَفِ بِمَقْتَلِ نَقيبِ الأَطِبّاءِ، آخِرِ الضَّحايا في ظَنّي، وَأَنَّ القاتِلَ سَجَّلَ نَفسَهُ كَأَبرَزِ مُرتَكِبي الـجَريمَةِ الكامِلَةِ. سَأُعلِنُ انْهِزامي، وَحاجَتي لِأَخْذِ إجازَةٍ قَصيرَةٍ، سَأوقِفُ خِلالَـها البَرنامَجَ".

الْتَمَعَتِ النَّظَراتُ في الأَعيُنِ، فيما يُتابِعُ: "أَمّا وَزارَةُ الدّاخِليَّةِ، فَأَقتَرِحُ أَن تُصدِرَ اللَّيلَةَ بَيانًا مُشابِهًا، يُعرِبُ عَن وُصولِ القَضيَّةِ لِطَريقٍ مَسدودٍ بِمَصْرَعِ نَقيبِ الأَطِبّاءِ السّابِقِ، مَعَ تَصريحٍ مِنَ النِّيابَةِ بِتَوَقُّعِها تسجيلَ القَضيَّةِ ضِدَّ مَجهولٍ في القَريبِ".



قالَ مُديرُ الأَمنِ بِبُطءٍ: "وَهذا يُطَمئِنُ القاتِلَ"

أَكمَلَ فَهْمي: "فَلا يُعَجِّلُ مِن خُطُواتِهِ".

"رَيْثَما نُعِدُّ لَهُ العُدَّةَ اللّازِمَةَ"، أَردَفَ مُساعِدُ وَزيرِ الدّاخِليَّةِ بِنَبرَةٍ حازِمَةٍ وامِضَةٍ بِالتَّصميمِ.

***

صَوتُ هَرَجٍ وَمَرَجٍ... صَفّارَةُ إسعافٍ تُدَوّي بِشَكلٍ مُريعٍ... قِناعٌ بْلاستيكيٌّ فَوقَ وَجهِهِ، ثَمَّةَ أُنبوبٌ مُزعِجٌ جِدًّا مَدْسوسٌ داخِلَ فَمِهِ، يَكادُ يَصِلُ إلى مَعِدَتِهِ.

لَـم يَمنَعْهُ مِنَ القَيْءِ سِوى أَنَّهُ لا قُوَّةَ لَدَيهِ الآنَ مِن أَيِّ نَوعٍ.

يُـحاوِلُ القِيامَ، لكِنَّ يَدًا تُبقيهِ في لُطفٍ، مَعَ صَوتٍ حازِمٍ مِن جانِبِهِ: "لا تَقلَقْ "فَريد بِكْ"، لَقَد أَلقَيْنا أَخيرًا القَبضَ عَلى القاتِلِ الـمُتَنَكِّرِ... دَقائِقُ وَتَصِلُ الـمُستَشفى الدَّوْلـ..."

وَلَـم يَلتَقِطْ فَريدٌ باقِيَ العِبارَةِ، إذْ سَقَطَ في الغَيْبوبَةِ مَرَّةً أُخرى.



* * *

(الـخِتامُ)

عادَ وَسْمُ "#لا_أمانَ" يَتَصَدَّرُ "التِّريند" مَرَّةً أُخرى، وَلكِن في هذِهِ الـمَرَّةِ عادَ مَقْرونًا بِآخِرِ أَخبارِ القَبضِ عَلى الـمُجرِمِ القاتِلِ، وَالفَرحَةِ بِتَأكيدِ سِيادَةِ القانونِ. عَناوينُ الصُّحُفِ لَبِثَتْ فَترَةً تَتَناوَلُ أَخبارَ القَضيَّةِ وَالقَبضِ أَخيرًا عَلى القاتِلِ الَّذي اتَّضَحَ أَنَّهُ مُدَرِّسُ كيمياءَ بِإِحْدى الـمَدارِسِ الثّانَويَّةِ، مُنَوِّهَةً بِكَونِهِ شَقيقَ أَحَدِ ضَحايا أَكياسِ الدَّمِ الـمُلَوَّثَةِ، كَما أَشادَتْ بِتَعاوُنِ أَجهِزَةِ الأَمنِ مَعَ اليافِعِ النّابِهِ فَهْمي فَهيمٍ، نَجْلِ الـمُحامي الأَشهَرِ فَهيمٍ زيدانَ، مُلقِيَةً الضَّوءَ كَذلِكَ عَلى قَنَواتِهِ على وَسائِلِ التَّواصُلِ الاجْتِماعيِّ، وَما تُقَدِّمُهُ مِن مُـحتَوًى تَوعَويٍّ أَمنيٍّ مُتَفَرِّدٍ.

إِلّا أَنَّهُ في أَحَدِ البُيوتِ النّائيَةِ، عَلى أَطرافِ الصَّحْراءِ، وَفي حُجرَةٍ رَفيعَةِ الذَّوقِ حَديثَةِ الطِّرازِ، كانَتْ تَـجلِسُ إِلى مَكتَبِها امرَأَةٌ خَـمسينيَّةٌ... فَوقَ الـمَكتَبِ عِدَّةُ صُحُفٍ تَتَحَدَّثُ عَن هالَةَ سُوَيْدانٍ الَّتي قُتِلَتْ في سِلسِلَةِ الجَرائِمِ الأَخيرَةِ. كانَتِ الـمَرأَةُ شابِكَةً أَصابِعَ يَدَيْها، في أَحَدِها خاتَمٌ يَعكِسُ لَونًا أَحـمَرَ أَخّاذًا، ناظِرَةً بِمَقْتٍ إِلى عِدَّةِ شاشاتٍ، تَتَناوَلُ أَخبارَ الـجَريمَةِ الأَخيرَةِ، ثُمَّ انتَقَلَتْ بِنَظَراتٍ تَفيضُ كَراهِيَةً إِلى صورَةٍ مُؤَطَّرَةٍ لِفَتًى يافِعٍ مَعَ والِدِهِ يَتَشارَكانِ الابتِسامَ. حَـمْلَقَتْ في صورَةِ اليافِعِ، ثُمَّ حَـمَلَتْ نَظَراتُها كُلَّ الوَعيدِ، وَهيَ تَستَقِرُّ على صورَةِ الوالِدِ. والِدٌ يُدْعى (فَهيم زيدان).




النِّهايَةُ